مجلة المعالم

العدد : ١٨٦ الموافق في شـــعبان ١٤١٧ هجري ١ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : النقد مطلوب . . وقوامه المعرفة	بقلم : صلاح الدين النكدلي

ترتفع أصوات في ساحة العمل الإسلامي داعية إلى ضرورة إعادة النظر في خيارات الحركات الإسلامية وطروحاتها ، ووسائل عملها ، في ظل المتغيرات الدولية التي أعقبت اختفاء القطب الاشتراكي ، وانفراد الرأسماليين بطرح أفكارهم وتزيينها ، بل فرضها !!.

ويذهب بعض دعاة المراجعة إلى القول بأن المرحلة السابقة قد اتسمت بالطرح السياسي للفكرة الإسلامية ، وهذا الطرح استفزَّ قوى محلية وعالمية فرضت على حركة التجديد تحديات ومواجهات ، ودفعت المناوئين للحركة الإسلامية إلى حالة من التحالف ، في محاولة للقضاء على تيار التجديد الإسلامي ، ونتج عن الصراع مع النظام السياسي اضطرابات فكرية عصفت بفصائل داخل صف الإسلاميين ، وهذه الاضطرابات أسلمت أصحابها إلى تصرفات غير منضبطة... استغلها أعداء الفكرة الإسلامية في حرب التشويه بجدارة !

ويضيف هؤلاء : إن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى « **الطرح الحضاري للفكرة الإسلامية** » ويفضل بعضهم شعار « البديل الحضاري الإسلامي ». وبدهي أنه لا يمكن النهوض بهذا الواجب إلا إذا غربلت الحركات الإسلامية في ضوء المتغيرات الدولية إنجازاتها وعرفت أخطاءها ، من أجل اكتشاف خيارات المستقبل ، وتحديد وسائل العمل المناسبة.

ويدفعنا الحديث في هذه المعاني إلى بيان مجموعة مسائل نراها ضرورية في معرفة : هل هذا الطرح « الحضاري » جديد في مضمونه... أم في ألفاظه ؟ وما النتائج التي قد يوصل إليها ؟.

المسألة الأولى : إن فكرة إعادة النظر فيما نختاره ونصنعه... أفراداً وجماعات... مسألة تربوية ، فالإسلام يربي المسلم على لزوم التوبة ، ففي الحديث : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة** » [رواه مسلم] . والتوبة عبارة عن نقد ذاتي ، وينبغي ألا يتوقف مدى الحياة ، لأن أعمالنا - ومنها خياراتنا السياسية والاجتماعية - قد يطرأ عليها خطأ أو هوى ، أو تصبح غير صائبة في ظل المتغيرات... وتحتاج إلى تغيير أو تعديل. لذلك نؤكد دوماً على هذا المعنى الشرعي ، ونطالب بتوفير أعلى درجات إدراك المتغيرات وإبداع الوسائل.

المسألة الثانية : إن نقد الماضي والحاضر يعني : الحرص على إحسان العمل في المستقبل. واستشراف المستقبل موهبة تصقلها الخبرة والمعرفة ، وهو نوع من الاجتهاد الذي يجوز عليه الخطأ

والصواب. والأولى في زماننا أن يكون عملَ فريق ، أو ما يعبر عنه بـ « اللجان المختصة » وهذا يجنب الجماعات كثيراً من أخطاء الاجتهاد الفردي.

المسألة الثالثة : إن هناك فرقاً بين « المفكر » وبين « الداعية » أو « المبلغ » أو بين « المؤسسة الفكرية » وبين « المؤسسة الدعوية الثقافية ». وهذا الفرق هو أن « المفكر » يقابل « المجتهد » ؛ أي : هو الذي يصنع « الفكرة » التي يحتاج إليها المسلمون في زمانه ، ويشمل ذلك المواقف من كل قضية ، وطرائق العمل ، والبرامج... ويدعو المسلمين إلى الأخذ بها... أما الداعية المبلغ فيأخذ النتائج التي توصل إليها المفكر ، ويهتدي بها في عمله. وبعبارة أخرى : « المفكر منتج والداعية مستهلك ». وقد تجتمع موهبة الاجتهاد بالقدرة على التبليغ في آحاد الرجال والنساء. ولكنهما في الأعم الغالب تفترقان ، لأن القادرين على صناعة الأفكار في الجماعات البشرية قِلة محدودة العدد. وهذا الفارق يظهر بوضوح أكبر بين « المؤسسة الفكرية » أو « الجماعة الفكرية » وبين « المؤسسة الدعوية » أو « الجماعة الدعوية ».

وهذا الفرق تجب ملاحظته في الخطاب مع الجماعة الفكرية أو المفكر ، ومع جماعة الدعوة أو الداعية... حتى لا تختلط الأمور.

❋ ❋ ❋

بناء على ما أسلفت من توضيحات أقول :

إن الحركة الإسلامية المعاصرة تتحرك منذ بداياتها في دائرتين :

١- **دائرة بعث الذات :** فسعت إلى تجديد ما اندرس من مفاهيم الإسلام ومبادئه وقواعده ومنطلقاته ، والعمل بمقتضيات الوحي في الواقع البشري. وقد حركت أشياء كثيرة وأعادتها إلى أصلها فهماً وتطبيقاً... وما يزال أمامها عمل كثير...

٢- **دائرة التصدي للهجمات :** فعملت على بيان الموقف من الفكرة الغربية وتجلياتها ، وأماطت اللثام عن حقيقة أن للغرب دينه... وللمسلمين دينهم ، وأن الإسلام هو نظام حياة كامل شامل ، وينبغي أن يبشر به المسلمون في الناس جميعاً : { **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** } { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** }.

صحيح أن الفكر الإسلامي المعاصر قد مرَّ بمراحل وهو يواجه الفكرة الغربية ؛ فظهر « الفكر الدفاعي » ثم « الفكر التقريبي القياسي » ، وانتهى الأمر بانتشار « الفكر الذاتي » الداعي إلى تقديم

الإسلام فكرة كلية عن الإنسان والكون والحياة ، وأنها المنقذ للبشرية من مفاسد الفكرة الغربية المنافية للفطرة... بتجلياتها العلمانية والإلحادية.

ولكن قراءة متأنية في الفكر الإسلامي المعاصر... تكشف أن من أبرز أهداف الحركة الإسلامية التجديدية... ما أعلناه في أهدافنا ودعونا إليه ، وهو :

« **مواجهة التحدي الحضاري الحديث : الفكري ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والخلقي. وإثبات وجود الإسلام في حياتنا ، وفي العالم ، على مستوى العصر وحاجات العصر** »

❋ ❋ ❋

الخلاصة

◊ إن الفكرة الإسلامية تشكل بديلاً حضارياً لحضارات البشر جميعها ، وهذه مسألة عقيدة ، ويشهد لها الواقع التاريخي والصراع القائم بين الفكرة الغربية وبين الفكرة الإسلامية اليوم.

◊ وإن على المسلمين أن ينهضوا... في كافة العصور... بواجب استنباط ما يناسب كل عصر في مجال التحدي ، وإثبات ملاءمة الإسلام للفطرة.

◊ وإن الحركة الإسلامية المعاصرة قد أقرت بتغلب الحضارة الغربية... ولم تعترف بتفوقها ، ولذلك دعت وسعت إلى توفير إمكانات تقديم الإسلام بديلاً لحضارة الغرب المادية الشهوانية ، وبينت أن البديل الإسلامي « **يهدي للتي هي أقوم** » فيحافظ على جوانب الإبداع الخيِّر ، ويقاوم السقوط العقيدي والأخلاقي المدمر.

◊ وإن التيار الإسلامي يرحب ويفرح بكل جهد ، فردي أو جماعي ، يزيده بصيرة ، ويسهم في تقديم الإسلام بصورة مؤثرة تقيم الحجة وتهدي القلوب.

◊ ولا شك في أن هذا الواجب لا ينهض به الذين يكتفون بالحديث عن وجوبه ، وإنما أولئك الذين يتقدمون الصفوف... فينمّون ما وهبهم الله من حسن فهم وإدراك ، ويضعون كل ذلك في خدمة هذه الحقيقة. وأخشى ما أخشاه هو أن يكثر الكلام عن « البديل الحضاري الإسلامي » فيظن المتحدثون أنهم مفكرو هذا الميدان... ثم تكشف الأيام أن معظمهم قد أضاع وقته في النقد من غير أن يقدم البديل ، ومن غير أن يضع جهده فيما هو أهل له من العمل. فمن كان مهيأ للتبليغ... فلْيبلغْ ، ومن كان مؤهلاً للتفكير... فلْيفكر.

وأخيراً... فإن التيار الإسلامي بمجموع جهوده الفكرية ، والدعوية ، والتربوية ، والإصلاحية... الخ. يسهم في توفير تراكمات معرفية وحاجية تمهد باستمرار لظهور مفكرين مبدعين ، يقدمون للمسلمين وللعالم ما يتطلعون إليه من فكر ورؤى... وأن على حركات الدعوة والتبليغ حمل هذا العطاء وتحويله إلى برامج عملية ، تنصر دعوة الحق وتنير للأجيال طريق الخروج من الأزمات والظلمات.